جمال التصوير القرآني في رسم المشهد والأحداث في قصة صاحب الجنتين

(دراسة موضوعية - وتوجيه بلاغي)

د. عبدالله محمد فهد

تدريسي في قسم أصول الدين / بغداد

المقدمة

الحمد لله رب العالمين مستحق الحمد وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد ﷺ وعلى آله وأصحابه ومن وآلاه.

أما بعد؛ فإن العمل القصصي في القران الكريم قائم على عناصر رئيسة لا غنى للنص عنها شأنها شأن أي دعامة يرتكز عليها العمل؛ حيث تتأثر وتؤثر في السرد القصصي القرآني ؛ لتحقيق أهدافه وغاياته السامية، كما أنه وسيلة بيانية لفهم الدعوة والرسالة المحمدية.

ولعل من بين أهم هذه العناصر **(الحدث)** الذي يمثل الجزء الأهم من القصة وفيه تتجسد الشخصيات والوحدة الفنية؛ وتصوير المشهد بعالمه الحي، فإنَّ الصلة بين الحدث والشخصية في القصة ،أقوى من أن يدلل عليها ؛ لأنهما العنصران الرئيسان في القصة، وقد ينصرف الاهتمام في القصة القرآنية الى الحدث من دون الشخصية فيختار القرآن من الحدث ما يخدم الفكرة الرئيسة، كما ويخلق الجو التربوي الملائم، من رهبة او رغبة مما يثير الانفعال، تاركا الأثر في النفس للتربية والتعلم، وأن القران يتعقب تلك الأحداث بما يبررها، أو يفسر أَسبابها، أو يبرز مواطن العبرة فيها، ليكون لها وقعها في النفوس، مستعملاً في ذلك أساليب التذكر والوعظ والحث والزجر والاعتبار والتقرير.

إن الحوار في القصص القرآني هو الروح التي يسري فيها كيان العمل القصصي، والحوار يصور المواقف تصويرا تاما، يتناول جميع أجزائها فهو يبعث الحياة والحركة في القصة، ويؤدي المغزى ويكشف عن مدى الصراع في المواقف المتغايرة ويصور الأَحداث في أسلوب الحكاية تصويرا يكشف عن خبايا الصدور وطريقه القرآن في تصوير الحوار تقوم على أساس الرواية، فيذكر القرآن أقوال الأشخاص ويصورها بقوله تعالى **(قال) أو (قالت) أو (قالا) أو(قالوا)** ؛ وذلك لأنَّ الحوار في القصص القرآني قد يكون بين كثرة، لا بين اثنين فقط .

كما أن الصلة بين **الحدث** والحوار والشخصيات، أقوى من أَن يدلل عليها لأنها عناصر رئيسة في القصة، نعم قد ينصرف الاهتمام في القصة القرآنية إلى الحدث دون الشخصية بما يخدم الفكرة الرئيسة لورود القصة لكنه يقوم على الحوار القائم بين الشخصيات إن كانت تصويرا لمشاهد، ولا يتضح الحوار في القصص الإخبارية التي تحكي عن الحدث فقط، وهكذا هي جمالية القصص القرآني في الدقة والبلاغة في التعبير الفريد بأساليب متنوعة تعرض الأحداث أما سرداً، أو حوارا قصصياً، أو يكتفي بالإشارة اليه بما يخدم الغاية من وروده إن كانت إجابة للسائلين أو إنكاراً للمكذبين أو تسلية عن نبيه ﷺ ، وقصة **(صاحب الجنتين)** هي إحدى تلك الروائع من قصص القرآن التي تميزت بأسلوب السرد والحوار في مطلعها ثم الوصف القصصي

لأحداثها ومكان هذه الاحداث يلازمها تصوير بديع للحالة النفسية لشخوص القصة.

وقصة صاحب الجنتين وصاحبه مع ورودها مجتمعة في موضع واحد من السورة ؛ إلا أنها جاءت مختصرة بحيث أشبهت القصة القصيرة أو (الأقصوصة) التي تعالج مسألة معينه، أو تظهر جانباً أو تجيب عن تساؤلات في نفس القارئ إذ دارت أحداث القصة حول شخصية غنية مغرورة ملحدة، تقابلها شخصية بسيطة تقنع بالكفاف تسمو بالصلاح والتقوى والإيمان صورتها لنا الآيات بأدق معاني التعبير وألخص المفردات لترسم لنا صورة عن غرور الثروة لدى أَصحابها وكيف تكون سببا في الإِلحاد والكفر بالتدريج ومآل التفاخر والفراغ لدى هؤلاء.

بدأت القصة بضرب المثل كما في غيرها من الأَمثال للعبرة في القرآن الكريم لمن اغتر بالدنيا وحالها وانتهت ببيان ما آلت إِليه الامور يرافقها تصوير متقن متسلسل ودقيق للأحداث الزمانية، والمكانية، والظروف التي عاصرت الحدث بشكل موجز وجميل بحيث خرجنا بتصور واضح عن شخصيتي **(صاحب الجنتين وصاحبه)** إن كانت صالحة أو سيئة؟ وما دار من حوار ليرسم لنا الملامح بكل شفافية ووضوح رائعين، حين تجتمع الكلمات القرآنية لتؤلف جملاً قرآنية وتجمع الجمل لتؤلف الصورة وتجتمع الصور لتؤلف المشهد القرآني الذي تتحرك فيه الصور بحركة تأخذ بالألباب.

وقد آثرت أن أفرد بحثي هذا للحديث عن جمالية القرآن في تصوير الأحداث والمشاهد فكان بعنوان: (جمال التصوير القرآني ورسم المشهد والأحداث في قصة أصحاب الجنتين) (دراسة موضوعية)، وقد اقتضت طبيعة البحث أن اقسمه إلى الآتي:

- **المقدمة:** وفيها أسباب اختيار الموضوع وخطة البحث.
- المبحث الأول: اساليب القصص القرآني وأهمية الحوار والتصوير الفني فيه ويقسم الى:
- المطلب الأول: القصة – عناصرها – أساليبها.
- المطلب الثاني: الحوار، أهميته، وخصائصه، ودوره في الدعوة .
- المطلب الثالث: جمالية التصوير الفني وضرب المثل للقصة القرآنية.
- المبحث الثاني: براعة التصوير القصصي القرآني من خلال السرد ورسم الحوار.
- المطلب الأول: التشويق والمتعة في السرد القصصي القرآني.
- المطلب الثاني: براعة التصوير والوصف من خلال الحوار في قصة صاحب الجنتين.
- المطلب الثالث:الخصائص والسمات الفنية للحوار القرآني في قصة صاحب الجنتين.
- أولا: خصائص الحوار القرآني.
- ثانياً: القصة كما وردت في القران وحوار الشخصيات فيها.

• الخاتمة والنتائج للبحث.

وفي خاتمة هذه الرحلة الشائعة بين أثناء البحث وأحداث القصة التي شدت اذهاننا إليها يختم الباري عز وجل هذا المشهد بعاقبة الايمان والانكار بقوله تعالى: ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾ ﴾ [الكهف الآية ٤٤] وأنا اختم هذه الديباجة بالحمد والثناء والفضل لله تعالى الذي من علي بإخراجه على هذا النحو، وأسأل الله تعالى القبول والتوفيق والسداد؛ إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله على خاتم الأنبياء والمرسلين.

المبحث الأول

أساليب القصص القرآني وأهمية الحوار والتصوير الفني فيه

- **المطلب الأول: القصة – عناصرها – أساليبها-**

أصل القصة في اللغة: المتابعة، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضا، قال تعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ﴾[١] .

أي تتبعي أثره. وقال تعالى: ﴿فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ﴾ [٢]. أي رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر[٣].

والقص: البيان. قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ﴾ [٤]... أي نبين لك أحسن البيان [٥].

ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [٦] .

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾[٧].

والاسم منه القص.

والقاص من يأتي بالقصة علي وجهها. لأنه يتتبع معانيها وألفاظها. أو هو قاص لأنه يقص القصص تباعاً خبرا بعد خبر، وجمع القاص: قُصاص بضم أوله، واقتصصت الحديث رويته علي وجهه، والقِصة: بالكسر بكسر القاف فتعني جمع القصة [٨].

والقصص بالفتح بمعني الخبر المقصوص وضع موضع المصدر حتي صار أغلب عليه[٩].

---

(١) القصص :آية ١١.

(٢) الكهف: آية ٦٤

(٣) ينظر: مختار الصحاح، ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة ٢٢٥/١

(٤) يوسف :آية ٣.

(٥) لسان العرب، ابن منظور ٧٣/٧ .

(٦) الأعراف: آية ١٧٦.

(٧) غافر: آية ٧٨.

(٨) لسان العرب، ابن منظور ٧٤/٧ .

(٩) ينظر: تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية،، ٤٥٠٧ والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ)، دار العلم للملايين- بيروت ط٤ - يناير ١٩٩٠م،٣ /١٠٥١، ومختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ٥٣٨، والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، المكتبة العلمية - بيروت، ٦٩٣.

ومما تقدم يتبين لنا: أن القصص معناه المتابعة كما أكد هذا المعني القرآن الكريم. كما أن هذه المتابعة لا تكون إلا عن طريق البيان وسرد الأحداث بصدق وروايتها علي وجهها. ويؤيد ذلك أن القصص بمعني القطع. فأنت حينما تقص الحديث تقطع بصحته. دون زيادة أو نقصان. كما أنه يمكن أن نستدل بهذا المعني اللغوي علي أن القصة لا تكون قصة في أصل وضعها إلا إذا قطع بصحتها. فليس فيها مجال للكذب والخيال.

وبهذا تري أن القصة في أصل اللغة العربية حقيقة واقعة. لأن القاص تتبع الأثر، وأتي به مستوعباً كل وجوه الصحة والصدق فيه.

- **معني القصة في القرآن الكريم :**

وعلى هذا المعني اللغوي جاء معني القصة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾[١]، أي الخبر الصادق. وقال تعالى: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿نَتْلُواْ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ﴾[٣].

فالقصص القرآني في اصطلاح العلماء بالقرآن الكريم هو :"إخبار الله عما حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة»[٤].

وذلك كقصص آدم ونوح وإبراهيم وموسي وعيسي وداود وسليمان ولقمان وذي القرنين.... إلي غير ذلك من القصص المذكورة في القرآن الكريم[٥].

وبهذا تري أن القرآن الكريم أطلق لفظ القصص علي ما حدث به من أخبار الأمم السابقة والقرون الأولي في مجالات الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين الخير والشر والحق والباطل.

فالقصة في استعمالات العرب وفي مفهوم القرآن الكريم تختلف عن القصة بالمعني الأدبي الحديث. وتلك حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر، «وإذا كان الأدباء اليوم ينتزعون من الخيال أقوالا ويقولون أنها قصة فذلك أمر لا يعرفه العرب، ولا يجري علي ألسنتهم، وصح لنا أن نطلق عليها أساطير مادامت لم تقع»[٦].

---

(١) آل عمران: آية ٦٢.
(٢) الكهف: آية ١٣.
(٣) القصص: آية ٣.
(٤) القصص القرآني، د. عبد الباسط بلبول، مكتبة أصول الدين بالقاهرة. ٣٦.
(٥) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣، ٢٠٠٠م، ٣١٧.
(٦) القصص القرآني، د. عبد الباسط بلبول، مكتبة أصول الدين بالقاهرة. ٣٦.

ذلك أن «القصة الأدبية في القديم وفي الحديث لم تقف عند الحقيقة التاريخية وحدها بل كانت تعتمد علي كثير أو قليل من عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بألوان غير ألوانها وأن يبدل ويغير في صورها وأشكالها، وذلك لكي تبدو الأحداث مختلفة في وجوهها عما ألف الناس أن يروها عليه»[١].

ولعل من الضروري أن أفرق بين القصة بهذا المعنى – أعني في القرآن الكريم - وبين الأسطورة.

«فالاساطير الأباطيل والأكاذيب والأحاديث لا نظام لها جمع إسطار وإسطير بكسرهما، وأسطور بالضم وبالهاء في الكل... وسطر تسطيرا ألف الأكاذيب، قال الليث: يقال سطر فلان علينا يسطر إذا جاء بأحاديث تشبه الباطل، يقال هو يسطر ما لا أصل له أي يؤلف» [٢].

وبهذا تري أن الأسطورة لا تطلق إلا علي الأكذوبة من الكلام، وعلي القول الذي لا يعقل كتأليف الأباطيل والخرافات.

أما القصة القرآنية فقد بنيت بناء محكماً من لبنات الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه[٣].

والقرآن المصدر الأساسي للتشريع، وقد أتى بالقصة ومشاهد الدنيا والآخرة بأسلوب معجز وصور جمالية ذات تصوير أدبي دقيق، ولعل الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ)، أول من وضح الجمالية القرآنية في نسقه البعيد ونظمه الجميل [٤] .

وتابعه في ذلك الخطابي(ت ٣٨٨ هـ) ولكن عبر جمالية الألفاظ وإن لم يهمل دور المعاني في تأثيرها في المتلق [٥]، أما الباقلاني (٤٠٣ هـ)، فينوه بخاصية الجمالية في أنماط القرآن جميعها من غير تفاوت ولا تباين وهي جمالية النظم العجيبة التي يعجز عن أمثالها أرباب القصاصة والأدب [٦]، وقد نبه الجرجاني (ت ٤٨٢ هـ) فيما بعد إلى انبهار العرب بجمال منفرد للقرآن الذي يسري في ألفاظه وآيه وسوره ومقاطعه[٧].

---

(١) القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة، عبد الكريم الخطيب، مطبعة السنة المحمدية، ط ،١ ١٩٦٨م عبد الكريم الخطيب ٣٩.

(٢) تاج العروس،١ / ٢٩٤٦.

(٣) القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة ص ٤٠.

(٤) ينظر: الكامل في التاريخ ،ضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، المجلد الأول، دار ومكتبة الهلال – لبنان، بيروت ،طبعة ٢٠٠٨ م، ٢/ ٤ .

(٥) ينظر: بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (ت ٣٨٨ هـ(القاهرة ١٣٧٢ هـ - ١٩٣٢ م، ٢٦-٢٩ .

(٦) ينظر: إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧١ م، ٥ .

(٧) ينظر: دلائل الأعجاز ،عبدا لقاهر الجرجاني)ت ٤٨٢ هـ)، وتصحيح وتعليق محمد . رشيد رضا، دار المعرفة، القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م، ٣٢

١- عناصر القصة القرآنية :

تقوم القصة على عناصر أو أركان عدة وسنعرض هنا كل عنصر على النحو الآتي:

أولاً: عنصر الأحداث والحبكة:

يعد هذا العنصر من أهم العناصر في القصص القرآني كله، فهو موجود في كل قصة سواء أكانت طويلة أم قصيرة أم بين بين، وسواء أكانت من قصص الأنبياء أم غيرهم، وسواء أكانت موزعة الحلقات أم معروضة في معرض واحد وسواء اعتمدت على طريقة السرد فحسب أم على طريقة السرد والحوار معا؛ فهو عنصر ضروري لا تقوم القصة إلا به ولا تتكون إلا على وجوده(١)

وإذا كنا نرى القصة الفنية تتكون من مجموعة من الأحداث والوقائع يؤلف بينها الأديب القاص على نحو بعينه، فإن القرآن الكريم قد سبق إلى ذلك حين أورد كل قصة بطريقة منطقية معجزة تتدرج وتتسلسل إلى أن تنتهي إلى النتائج والأغراض المقصودة، والقصص القرآني لا يعرض من الأحداث إلا ما كان متصلا بالماضي وآثار السابقين ؛لأن تتبع الأحداث الماضية، وعرض أنباء الأولين هو الذي يحقق المقصود والأسى من هذه القصص(٢) .

وإذ يشمل عنصر الحدث على صور عديدة من الحوار والجدل الذي تنشأ عنه أزمة الحدث أو عقدته ؛ فإن القصص القرآني لم يعمد في عرض هذه الأحداث على عنصر الخيال الذي من شأنه أن يلون الأحداث بغير ألوانها أو أن يبدل ويغير من صورها وأشكالها (٣) .

ثانياً: عنصر الشخصيات :

عنصر الأحداث وعنصر الشخصيات هما العنصران الأساسيان في كل قصة، إذ لولا الملامح، نتصور شخصا من غير أحداث تلم به أو تقع عليه ؛ لذلك فالعمل القصصي يقوم على محورين: الشخصية والحدث، بمعنى أن تكون الشخصية هي الفلك الذي يدور حوله الحدث، أو تكون الأحداث هي المركز الذي تدور في دائرته الشخصيات، وقد تتوازن في العمل القصصي الشخصية والحدث فيتبادلان نقطة الارتكاز والتجمع مرة بعد أخرى(٤).

ويلاحظ في القصص التاريخي ،غلبة الشخصية على الحدث، فيكون الشخص محور الحركة في القصة، أما القصص القرآني المعجز، فنرى فيه المزج التام بين الشخصية والحدث ثم إدارة المشاهد القصصية في

(١) ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز ،د.عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية - الإسكندرية، سلسلة الدراسات القرآنية (١)، ٢٠٠٠م، ١٣٤.

(٢) ينظر: الفن القصصي في القرآن، ،محمد أحمد خلف الله، مكتبة الانجلو المصرية ،ط ٣، ١٩٦٥م ٢٨٨ .

(٣) ينظر: المصدر نفسه والصفحة نفسها .

(٤) ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ١٤٩.

هذا الفلك بحيث تكون المشاهد موزعة توزيعا محكما متوازنا بين الشخصية والحدث حرصا من القرآن الكريم على الوحدة القصصية في كل صورها وأوضاعه[١].

والمتأمل لقصص الأنبياء والمرسلين في القرآن يجدهم يشتركون في الصفات والملامح[٢]، فهم جميعا بشر لا ملائكة وعندهم من الغرائز البشرية ما عند سائر البشر، غير أنهم كانوا الأنموذج للكمال البشري[٣] والشخصيات يشكلون الحركة الحّية في القصة ؛ وكما هو واضح فالإحداث والبيئات لا قيمة لها إلاّ بقدر وجود)الحركة الإنسانية(عليها وحيال هذا فان انتقاء الشخصية وطريقة رسمها وإلقاء الأدوار عليها، يظل في الصميم من حركة القصة وحيويتها[٤] .

إنها شخصية «قصة الرجل الكافر صاحب الجنتين، الذي بطر بسبب النعمة، وأنكر لقاء الله تعالى، فعاش لدنياه وشهواته فحسب، وقصة الرجل المؤمن الصابر، الذي أنفق ماله ابتغاء وجه الله، وقدّم من العمل الصالح لآخرته ما يقرّبه من ربه عز وجل، وقد جمعت بينهما الأيام بهذا المكان الذي جرى فيه ذلك الحديث، وتلك المحاورة التي قصهّا القرآن الكريم»[٥].

لقد صوّر القرآن الكريم القصة بأشخاصها وتضخم هذا الإحساس ونما تدريجياً ووصل صاحب البستان إلى حالة بدأ يظن معها أن هذه الثروة المال والجاه والنفوذ إنما هي أمور أبديّة، فدخل بغرور إلى بستانه، ونظر إلى اشجاره الخضراء، وسمع صوت الماء الذي يجري في النهر القريب من البستان والذي كان يسقي أشجاره، وقال: لا يمكن أن تهلك هذه الجنة أو تفنى، لاعتقاده أبدية الدهر، وأنه لا كون سوى ما تقع عليه مشاعره، بل عمد إلى ما هو أكثر من هذا فقال «وما أظن الساعة قائمة»، أي: كائنة آتية. وأقسم على أنه إن ردّ إلى ربه على سبيل الفرض والتقدير، كما يزعم صأحبه، ليجدنّ في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا، تطمعا وتمنيا على الله سبحانه، وأدعاء لكرامته عليه ومكانته عنده، وأنه ما أولاه الجنتين إلا لاستحقاقه واستنهاله . وأن معه هذا الاستحقاق أينما توجه [٦] .

ثالثاً: عنصر الزمن والمكان :

للقرآن منهج خاص في عرض التاريخ، وتصوير الأحداث التي وقعت في الزمن الماضي فنراه مثلا، إذا أورد قصة من الزمن الماضي لا يذكر لنا في أي سنة بدأت أحداث هذه القصة، ولا في أي سنة انتهت، ونراه

(١) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ٤٢-٤٣ .
(٢) ينظر: سيكولوجية القصة في القرآن، نقرة التهامي، ٣٦٧ .
(٣) ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ١٥٤.
(٤) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، ١١٩-١٢١ .
(٥) قبس من نور القرآن الكريم، محمد علي الصابوني، دار السلام، ط١، ١٩٩٧م، ٢٩/٧ .
(٦) ينظر: تفسير القاسمي محمد جمال الدين لقاسمي، ٤٢/١١ .

كذلك لا يذكر ترتيبها الزمني في التاريخ، بمعنى أنه لا يحدد زمان القصة بألف أو آلفين قبل الميلاد أو بعده أو قبل البعثة، أو نحو ذلك، وسبب ذلك أن النص على الزمن الذي وقعت فيه أحداث القصة القرآنية لا يضيف شيئا إلى عبرة القصة ومغزاها[١] .

وينبغي أن لا نفهم من ذلك أن الزمن ليس له قيمة في كتاب الله عز وجل فالحقيقة أن القرآن الكريم قد أعطى للزمن وتنظيمه قيمة كبيرة، وحرص كل الحرص على التصريح بكل جريئة من جزيئات الزمن التي تساعد في توضيح الحدث أو القصة معرفة واعتبارا، فالعنصر الزمني يظهر حيث يتطلبه الموقف ويستدعيه المقام لإخراج الحدث في صورة تقرب المشهد وتجليه وتكشف مراميه ليكون له مكانه الملحوظ في سير أحداث القصة [٢].

إنَّ عنصر المكان «وإن كان قوة عاملة في تشكيل الاحداث معالمها فإنه يجيء في المنزلة بعد الزمن بمراحل بعيدة» [٣].

والقرآن الكريم «لا يلتفت إلى المكان ولا يجري لهه ذكرا إلا إذا كان للمكان وضع خاص يؤثر في سير الحدث أو يبرز ملامحه أو يقيم شواهد العبرة والعظة منه»[٤].

وحينما ننظر إلى القصص القرآني المعجز من الزاوية المكانية فيه نجد إن القرآن الكريم ينظر ذلك المكان على النحو الذي ينظر به إلى الزمان، فهو لا يعنى بذكر أسماء الاماكن ومواصفاتها إلا إذا كان لها وضع خاص يؤثر في سير الحدث، أو يبرز ملامحه، أو يقم شواهد العظة والعبرة منه، ففي هذا يلتزم القرآن الكريم، بذكر أسماء الأماكن ومواصفاتها وذلك في بيان الغرض المقصود من القصة، وتهب منه على الحدث سمات وأشعة، ويكون ذا قيمة نفسية وروحية عظيمة، تفتقدهما الحادثة إذا هي لم تجيء في صحبة المكان المنصوص على اسمه ولم تلبس به[٥] .

رابعاً: الأسلوب:

وقد أشار الخطيب إلى أن القران الكريم التزم أسلوبا في عرض القصص القرآني، يتحدث من خلاله عن حوادث وشخصيات قصص غفا غنها زمنها وذهب رسمها، يبعث فيها الحياة فتتخطى القرون، ويجعلها كأنها

(١) ينظر: جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني، د.محمد الصاوي الجويني، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٨٣ م، ٢١-٢٢ .
(٢) ينظر: أدب القصة في القرآن الكريم، ٢٥٦.
(٣) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب، ٨٠ .
(٤) أثر استخدام السرد التحليلي للقصة القرآنية على تنمية التفكير الاستنتاجي، أمالي صالح (رسالة ماجستير) جامعة غزة، كلية التربية، ٢٠١٠م، ٢٠ .
(٥) ينظر:القصص القرآني في منظومه ومفهومه، ٨ .

ماثلة أمامك بلغة عربية فصيحة كل البعد عن التعمق والتشدق المذموم، وهذه أول أمارة من أمارات الصدق الذي لا يلتبس به تمويه أو خداع، وهو ما يليق بمقام القرآن الكريم، وجلاله أن يتلبس به شائبة تمس احق الذي نرل به [١].

كما يظهر ايضا في اسلوب القران عرضه القصصي « أن يختار لقطات حيّة من الوقائع التاريخية، ولا يثقلها بما هو (تافه) من الجزئيات والتفاصيل التي تصرف الفكر عن التدبر والاعتبار كما يختار الرسام للمشاهد من الأشكال والألوان ما يحقق له الانسجام، وإلا فحسبه الصورة الفوتغرافية الآلية « [٢] ـ

خامساً: الحوار :

لقد سلك الحوار في القصة القرآنية مسلك التبسيط، ورسم فيها معالم الشخصيات الانسانية، وذلك بالتعبير عن كوامن نفسها وآرائها وموقفها، والصراع المحتدم في داخلها والقائم مع غيرها، ونقل أقوالها بدقة وأمانة بأسلوب بياني تتجلى فيه وجوه الإعجاز، منتقياً للقطات الموحية والمشاهد الحيّة التي تحقق الهدف ـ وتفي بالحاجة، وتكون ذات دلالة ومغزى، بين الرجل الغني صاحب الجنتين وصاحبه المؤمن سبيل الوصول إلى الحق، والحوار في هذه القصة صورة من صور الحوار بين الإيمان والنزعة المادية [٣].

- **المطلب الثاني: الحوار، أهميته، وخصائصه، ودوره في الدعوة**
- **الحوار في اللغة :**

مأخوذة من الحُور وهو: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء.و الحَورْ: النقصان بعد الزيادة لأنه رجوع من حال إلى حال . والحَور: ما تحت الكور من العمامة لأنه رجوع عن تكويرها. والمحاورة: المجاوبة ، والتحاور: التجاوب . والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة [٤].

أما الحوار اصطلاحاً: «نوع من الحديث بين شخصين، يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة ما، فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر، ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب» [٥].

وقيل: «هو مناقشة بين طرفين – أو أطراف بقصد تصحيح الكلام، وإظهار حجة وإثبات حق، ودفع شبهة، وردّ الفاسد من القول والرأي»[٦].

---

(١) ينظر: المصدر نفسه، ٩٥-٩٦ .
(٢) سيكولوجية القصة في القرآن، د. التهامي نقرة، ٨٧ .
(٣) ينظر:جماليات الترابط في قصص سورة الكهف، د. علي بن محمد الحمود كلية الإمام بن سعود ٱسلامية ٩.
(٤) ينظر: لسان العرب، ابن منظور ٢١٧/٤-٢١٩ .
(٥) فنون الحوار والإقناع، محمد راشد، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٩م، ١١ .
(٦) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبدالله، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١، ١٩٩٩م، ٢١٢ .

إن الحوار أسلوب متقدم في الفكر البشري أو إحدى الوسائل التي ترقى بالفكر البشري إذ تقرب المسافات بين النفوس بعد عملية الكشف عن خباياها، ومعرفة الحقائق، التي يمكن أن تغبن وتختفي، وقامت أغلب الحضارات على الحوار بين أطراف الصراع، فإذا ما أريد له النجاح والأثمار فلا بد من مقومات للحوار، وأدبيات تلتزم . فالحوار مهم جداً بالنسبة للداعية ولذلك وجّه الله تعالى نبيه الكريم إلى هذا الأسلوب في الدعوة ؛ فكان الحوار هو الطابع العام فيها، وذلك للفت الانتباه إلى هذه الغاية وهي اعتماد الحوار في مرحلة الدعوة أساساً ومنهجاً .

إذ ويمكن القول كذلك إنَّ «الحوار الموجـه إلى الحق في القصص القرآني يعتمد على المنطق أكثر من اعتماده على الاستهواء العاطفي ؛ لأن أرقى درجات الإيمان، وأزكى وسائل التربية ما قام على النظر والتدبير»[١].

وقد عمد القرآن الكريم الحوار أسلوبا ظاهراً في جوانب شتى، سواء على صعيد المحاجة بين الأنبياء وأقوامهم وما اشتمل عليه من حجج وبراهين قاطعة أو من خلال العرض القصصي الذي يبرز في كثير من أمثال وقصص القرآن، وذلك لما يمثله الحوار «فهو كالروح التي ترى في كيان العمل القصصي وبغير الحوار لا نجد الفائدة الحقة ولا نجد ذلك الذوق الرفيع والتلوين البديع في الحادثة والجمال والبيان» [٢] .

فالحوار يقوم بإظهار أبعاد الشخصيات في القصة، بشكل لا يتسنى للسرد والوصف أن يقدمه، وخاصة فيما يتعلق بالحالة النفسية العميقة، كما يمثل السبيل الأفضل للتعليم والتعلم، الذي يشكل منحى رئيساً في هذه القصة .

وقد تنوعت الأساليب في القرآن الكريم ما بين الإقناع والتأثير لما جاءت به العقيدة من تشريع وحقائق في عالم الغيب ؛ لذا كانت جمالية التعبير القرآني في أسلوبه هي الصورة الفنية وأحد هذه الأساليب التي تؤدي دورها في أنه طريقة في الإقناع وإثارة طريقة الانفعالات في النفوس على النحو الذي يؤثر في المتلقي ويستميله إلى القيم الدينية السامية [٣].

لقد سلك القرآن الكريم مسالك شتى في تصوير الدعوة بما يوصلها إلى العقل البشري على اختلاف درجاته، وكان الحوار وأساليبه أحد هذه المسالك الهامة التي اتخذها القرآن العظيم وسيلة لتوضيح ما قد يخفى على العقل البشري، أو قد يكون بعيداً عن مجال تصوره وإدراكه [٤] .

---

(١) سيكولوجية القصة في القرآن، نقرة التهامي، ٥٨٧ .
(٢) القصة القرآنية الخصائص والأهداف، سليمان علي حسن محمد، ط١، القاهرة، مطبعة الحسين الإسلامية ،١٩٩٥، ٧٨ .
(٣) ينظر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، القاهرة، المركز الثقافي العربي، ٣٢٣
(٤) ينظر: أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٩٨٦م، ١٣٤ .

ومن الآيات الكريمة التي يتبين فيها أهمية هذا الأمر نجدها في قصة صاحب الجنتين.

والجمالية القرآنية هي علم الجمال القرآني وفنيته التي تعنى بالكشف عن ألوانه وأسراره وأساليبه عبر الموضوعات القرآنية المتعددة، وبتعبير أدق ؛ فإن الجمالية أبرز الظواهر القرآنية بسبب ما استعملته من المواد العربية الأولى نحو: المفردة، والتركيب والصورة الأدبية ولكن في آفاق من الإعجاز الإلهي الدائم وقصة (صاحب الجنتين) تزخر بالجمالية ذات الأساليب المتنوعة [١]، وكل ذلك قائم على جمال اللفظ والمعنى وحسن تركيبهما في أحسن صورة من صور الإبداع الأدبي الفني، إذ اشتملت على كل عناصر القصة الأدبية والمشاهد التصويرية بحيث تجعل القارئ يتصور ما حدث وكأنه ماثل أمام ناظريه وبأسلوب فريد في ألفاظها وتعبيرها وأدائها القصصي الممتع [٢]، وسنتكلم على أبرز سمات الجمالية في القصة القرآنية التي وردت في قصة (صاحب الجنتين) في موضعها من البحث هذا ان شاء الله.

- **المطلب الثالث: جمالية التصوير الفني وضرب المثل للقصة القرآنية:**

إن مما يزيد الصورة الفنية جمالاً موقعها المناسب في النص أن تشمل على أكثر من تقنية فنية وأسلوبية في آن واحد ؛ فينظر إليها من كل زاوية تتمثل بها سواء في الدلالة أو التعبير أو التأثير [٣].

ولم يكن اهتمام القصة القرآنية بتحقيق مقاصدها العقدية والتربوية على حساب النواحي الجمالية، بل إنها وآمت بين الأغراض الدينية والجمال الفني، فجمعت ببراعة بين الفائدة والمتعة، فكانت بحق أحسن القصص، إذ خاطبت العقول والقلوب بأسلوب فني معجز متميز، أقنع العقول، وأثّر في القلوب، « ولقد وصلت القصة القرآنية إلى هذا التأثير الوجداني الفعال بطرائق فنية وجمالية خاصة بها «[٤]

إنَّ التعبير القرآني لصاحب الجنتين « يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، فتستحيل القصة حادثاً يقع وشهداً يجري، لا قصة ترى، ولا حادثاً قد مضى»[٥].

وذلك لأن في التصوير الفني لهذه القصة « تجسيم للحقائق، وتشخيص للجمادات، وحيوية للكلمات، حتى تحرك في المشهد، ورسم للمواقف، ليكون ذلك أكثر انجذباً»[٦].

---

(١) ينظر: في التذوق الجمالي لسورة الكف، د. محمد علي أبو حمزة، ٧٧ .

(٢) ينظر: المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، د.فتحي أحمد عامر منشأة المعارف، الإسكندرية، ب ط، ب ت، ١٢٤، وجماليات المكان في القصة القصيرة، د. أحمد طالب، دار الغرب، ب ط، ب ت، ١٦ .

(٣) الأسلوبية والأسلوب، عبدالسلام المسدي، الدار العبية للكتاب، تونس، ٧٨ .

(٤) القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن)، محمد قطب، دار قباء – القاهرة، ٢٠٠٢م ١١٠ .

(٥) جماليات المكان في القصة القصيرة، د. أحمد طالب، ١٥٤ .

(٦) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، د. فتحي أحمد عامر، ١٥٤ .

ومن خلال التصوير الفني لصاحب الجنتين وامتزاج المثال في الحوار «له فوائد جليلة ترفع من شخصية المحاور وتزيده جاذبية وتأثيراً، ومن هذه الفوائد التذكير، والوعظ، والحث، والزجر، والاعتبار، والتقرير، وتقريب المراد للعقل، وتصويره بصورة المحسوس، فإن الأمثال تصور المعاني بصورة الأشخاص، لأنها أثبت في الأذهان لاستعاة الذهن فيها بالحواس»[١].

* **وسأذكر هنا أبرز السمات الجمالية للقصة :**

أولاً: جمالية التصوير الفني في القصة: وقصص القرآن مليء بذلك فلا تجد قصة وردت إلا واشتملت عليها؛ ويمكن ان نعرض هذه الصورة الفنية وضرب الامثال من خلال قصة صاحب الجنتين في سورة الكهف:

١. ومن هذا ما يتمثل في قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا﴾[٢]، فالتركيب بداية فيه تقديم وتأخير في ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ﴾ ليعطي شمولية في الصورة، وأسلوب الالتفات في ﴿ءَاتَتْ أُكُلَهَا﴾ فيه شحن للذهن ودقة في التفصيل وعمق في التصوير، فيأخذ النظر بالتحديق في كل جزئية في الصورة، أما التصوير الاستعاري المتمثل في الظلم، فهنا لم يستخدم على أصل الكلمة، فالظلم أمر يتعلق بمن يمتلك الإرادة والتخيير، والنبات على أصل التعبير ليس كذلك، وإنما استعير اللفظ ليعني النقص في الثمر، فالظلم حرمه الله، وامتثل لذلك المخلوق حتى الجمادات والنباتات، بهذا الظلم تظهر صورة الظلم الوخيمة التي لم تحتملها المخلوقات فكان حرياً بالإنسان أن يشعر بتلك الصورة [٣]، ولكنه بجهله وعناده وقع في الظلم لنفسه ولغيره، الجملة الحالية ذات سعة ودقة في الوصف واستقلالية في التعبير، فتتمكن أكثر من الحال المفردة في الدخول الى الجزئيات وتفصيل الكليات التي بدورها قد تكشف أبعاداً نفسية وجمالية وتصويراً حركيا مما يضفي جمالاً على الصورة، كما في قوله تعالى: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا﴾[٤]، فتعطي إحساساً في المعايشة مع الحديث فيظهر ذلك في قوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[٥]، فالجملة الحالية وهي خاوية على عروشها جعلت الصورة تتمركز حول الجنة وتلفت الانتباه بعد أن سيطرت صورة صاحبها، وذلك من خلال إمكانات تمثل بالجملة الحالية، فالواو عنصر هدوء لتحّول صورة الحركة إلى ثبات في صورة الجنة بعد خرابها، يتبع ذلك دلالة الثبات في اسم الفاعل، ليرسم كل ذلك جواً من الإحباط الدائم يعلق في النفس كلما راودت صاحبها بالتكبر وإنكار فضل الله تعالى.

(١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط٤، ١٩٧٨م، ١٦٧/٢
(٢) الكهف: ٣٣.
(٣) ينظر: قبس من نور القرآن الكريم، الصابوني ٢٩/٧-٣٠ .
(٤) الكهف: ٣٥.
(٥) الكهف: ٤٢ .

٢. كما وصفت جمالية القرآن الأثر النفسي في القصة القرآنية بالصورة الكناية فيقوله تعالى: ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾[١] يصف حال صاحب الجنتين بعد أن أحيط بجنتيه وبثمرها «فتقليب الكفين كناية عن التحسر والندم على ضياع جهده وماله»[٢].

فبلاغة الصورة تجمع بين الحركة الظاهرية من اضطراب بادٍ عليه من خلال حركة يديه، ونفسية قلقة يسيطر عليها الندم [٣]، فحركة اليدين عادة إنسانية، ولكنها بفعل نفسي داخلي، تمثل كله في هذا التعبير، فكما أن الكناية ذات مستويين من التعبير، فالصورة أيضا ذات بعدين بين ظاهر في الحركة وآخر مختفي في النفس فيكشف الظاهر عن حقيقة ما يختفي، فتتجلى الصورة بأبعادها وجماليتها من خلال عملية التأمل والكشف بين ثنائيات متواصلة[٤]، «ولا شك أن هذه الصورة في قوله تعالى: ﴿يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ﴾ لها دلالات نفسية من حيث هي تعبير عن القلق والتوتر والحسرة التي تصيب الإنسان نتيجة الإحباط الذي أصابه» [٥].

٣. وصورة اخرى من جمالية القصص هنا في التعبير الجمالي في قوله تعالى: ﴿أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا﴾[٦]، تحمل معنى الجدب والمحل والقحط، وكل هذا الماء كان موجوداً ولكنه فجأة تسرب الماء فلم يعد له أثر يرى، فغار الماء في الأرض ليعطي بهذا التعبير الجمالي ما يترتب عليه من القحط والجدب، فلم يباشر التعبير المعنى بل وصل إليه بالتلميح، فصورة الماء إذا نزل إلى الأرض وتسرب فيها، فإما أن يسقي النبات منه ويروى، وإما أن لا يعود له أثر، فيسبب المحل ويموت النبات ورجحت الآية المعنى الثاني لقوله تعالى: ﴿فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا﴾[٧]، ويزيد من جمالية القصة القرآنية عنصر المفاجأة في لفظ ارتبط مع أغلب المفاجآت في الصورة ﴿يُصْبِحَ﴾ وما له من خصوصية في بعث الأمل، فينكسر بفعل المفاجأة، ليحل الموقف بخيبة أمل وانقطاع سبله [٨].

٤. بيّنت جمالية القصة القرآنية بالتلميح لا بالتعريض النابع من عدم المباشرة والإيحاء ومن عم الكافر وقولهم ما يدل عليهم ما في نفوسهم في قوله تعالى ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ

(١) الكهف: ٤٢ .
(٢) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين، ط١ ،دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٤، ٢٦٥ .
(٣) تفسير أبي السعود العمادي أو أرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، دار الفكر، ٥٢٣/٣-٤٢٤، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٤١٠/١٠ .
(٤) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه، عبدالكريم الخطيب، ١٢١ .
(٥) المجاز المرسل والكناية الأبعاد المعرفية والجمالية، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨، ٢٠٢ .
(٦) الكهف: ٤١ .
(٧) الكهف: ٤١ .
(٨) ينظر: البيان القصصي في القرآن الكريم، د. إبراهيم، دار الأصالة – الرياض، ط١٩٩٠،٢م، ١٣٨

خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾[١] ، فمن كفر بالساعة فهو كافر في المطلق، فأخذت الآية أمارة من أمارات الكفر فهمها المؤمن، ولذا كان رده عليه في قوله تعالى: ﴿أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ﴾[٢] فمن صفات الكفار العناد التي تظهر في قوله تعالى: ﴿ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ ﴾[٣] فسنة الأولين كناية عن العذاب الذ حاق بالأمم السابقة، وهو عذاب متنوع ولكن السنة واحدة، فكان التعبير أدق وأشمل وأكثر إثارة في النفس للحديث عن تلك السنة وما يمكن أن تشمل .

ثانياً: روعة الاسلوب القرآني في ضرب الامثال من ايراد القصة:

لقد كان لهذه الآيات الكريمة مثلاً من أمثال القرآن الكريم الذي تنوع وروده ووقوعه في الكتاب العزيز إلا أنه أسلوب له ما يميزه «وهذا يدل على سمو القرآن في أساليبه وأهدافه ومقاصده وأنه كتاب المتحدى به والمعجزة العقلية الكبرى»[٤] .

إن المثل والحوار في هذه الآيات الكريمة يشمل نمطين من البشر، الكافر المتكبر أعطاه الله من زينة الحياة الدنيا فاغتر بها والمؤمن الذي ازداد الأيمان في قلبه وعرض القرآن الكريم القصة في أسلوب الحوار مما يضفي ظلال الواقع على المثل بالإضافة إلى واقعية وإمكانية الحدث، وهذا المثل الواقعي التصويري[٥].

فيه دليل من العبر والأدلة على طبائع في البشر وتحليل لنفسية كل من المغتر بالنعم الدنيوية، فقد تودي به الى كفران النعمة، وعلى الجانب الآخر المؤمن المتوكل على الله، فكما يلاحظ على المثل امتلاكه جميع إمكانيات التصوير والتأثير[٦] وذلك من خلال واقعية الأشخاص والحوار وعناصر الطبيعة – الجنتين النهر الزرع – التي دخلت في الصورة والتي كانت في أوج ظهورها وفي لحظات الدهشة والمفاجأة تغيب عن الأنظار «وليس من شك في أن هذا الحدث المفاجئ لم يكن متوقعا أن يجيء على تلك الصورة التي تذهب بالجنتين جملة وفي لحظة خاطفة» [٧]، ليستدل الستار على مشهد لا تكون فيه إلا قدرة الله هي المهيمنة على النفس والمكان، إن في الأمثال القرآنية عِبر لا بد من التنبه لها وخاصة فيما يتعلق بالنفس البشرية، فالمؤمن عندما تعاظم عليه الغني بالمال وعيره بفقره أوقع ذلك شيئاً في نفسه فدعا عليه جزاء على سخريته به، فكان

(١) الكهف: ٣٦ .
(٢) الكهف: ٣٧ .
(٣) الكهف: ٥٥.
(٤) موسوعة الأمثال القرآنية، محمد عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة الآداب – القاهرة- ١٩٩٤، ٣/٢ .
(٥) المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ، ٣٨ .
(٦) ينظر: القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن)، محمد قطب ٢٦٣ .
(٧) موسوعة الأمثال القرآنية، محمد عبدالوهاب عبداللطيف ٥٩ .

هذا أشبه بالجزاء من جنس العمل .

لقد اتسمت جمالية الصورة المثالية في هذه الآية بين (صاحب الجنتين، والرجل المؤمن) فالقصة المثالية تشمل على أكثر من صورة فنية وهو ما يُعرف « بعناقيد الصور « [١] .

فمن خلال هذه الآيات نرى التصوير ينقل الحقيقة في كل أبعادها وتفاصيلها المتكاملة مما يزيدها تأثيراً في النفوس فيجعلها أكثر إراحة ومتعة وتعايشاً فطرياً مع النفس فصورة الجنتين يمكن رسمها وإظهار ما فيها بأدق التفاصيل حتى لو ذهبنا في ذلك مذهب من اعتبرها جنة واحدة [٢]، ولكن الناظر لاتساعها كأنه يرى في كل جانب جنة ولهذا الرأي ما يدعمه في قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا﴾ [٣]، فماء النهر يجري بين الزرع في الجنتين فلا يفصل بينهما فاصل [٤]. إذ لو كان بدلاً من كلمة (خلالهما) (بينهما) لاحتمل ذلك الفصل بين الجنتين، ومن خلال هذا التصوير لمشهد منظور تطالعنا صورة استعارية جميلة دقيقة لافتة قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾﴾ [٥] .

فالتعبير أولاً انتقل من المثنى إلى المفرد على رأي من قال أنهما جنتان أو على رأي من قال – أنها جنة واحدة – فيعود الحديث إلى الأصل وفي الحالتين تشكل أسلوب التفات، فالجنة ـو(الجنتين) تتمثل لأمر الله فلم تنقص من ثمرها شيئا، وكأن الجمادات أصبحت ذات إرادة في التنفيذ والامتثال، فأسبلت عليها الآية هذه الصفة ليعيد المتلقي حساباته من جديد، فإذا كان الجماد لم يظلم وقد أمتثل لأمر الله، فالأولى به إذ هو العاقل أن يمتثل .

(١) الصورة في الشعر العربي، علي البطل، ٢٨ .
(٢) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ١٩٩٦م ٤ /٤٣٠.
(٣) الكهف: ٣٣ .
(٤) ينظر: فتح القدير، الشوكاني ٢٨٦/٣ .
(٥) الكهف: ٣٣ .

المبحث الثاني

براعة التصوير القصصي القرآني من خلال السرد ورسم الحوار

يُعد الوصف والسرد من أهم الأساليب في تقديم القصة القرآنية إذ يعمل على نقل القارئ وتقديمه ومنحه حضورا وعمقاً داخل القصة ؛ إذ إن المكان لا يكون فارغا، ومهمة الوصف أن يملأه بوصف ما يحتويه من أشياء لها علاقات بشخصيات القصة واحداثها لذا يعد الوصف بوابة للأحداث ومدخلا لها في استكشاف شخوص القصة، وما يحيط بها من مكان وظروف الحياة التي تعيشها الشخصيات، ويسرد الأحداث التي تنمو مسيرتها ضمن إطار لها ولغيرها من عناصر القصص فيكشف عن وقائع الموصوف وتفصيلاته ويثير إحساساً بالمواطنة فيؤدي الى تعميق الصلة بينه وبين ابطال القصة [١]، هذا ويرتبط السرد وتتسع دلالته بما ترتبط به من سياقات نفسية واجتماعية، ومن ثم يرتقي الوصف الى درجة النموذج التصويري وعليه يظهر المكان في القصة القرآنية وتتضح شخوصها من خلال أسلوب القرآن الكريم وتناوله ودقة وصفه ؛ إذ إنَّه يحدد أبعادها، حتى يشعر القارئ بما يحيط بالأحداث من خلجات وأثر نفسي، وهنا في هذا المبحث سنعرج على ذكر هذا الجانب من براعة القصص القرآني في الوصف والسرد الذي لا يشعر القارئ بالملل والاطناب[٢].

- **المطلب الأول: التشويق والمتعة في السرد القصصي القرآني**
- **ما هو مفهوم السّرد؟**

السَّردُ لغة: تَقْدِمَةُ شيء إلى شيء تأتي به متّسقاً بعضُه في أثر بعض متتابعاً وسَرَدَ الحديث ونحوه يَسْرُدُه سَرْداً إذا تابعه وفلان يَسْرُد الحديث سرداً إذا كان جَيِّد السياق له[٣] .

وسَرَدَ القرآن: تابع قراءته وسرد فلان الصوم إذا والاه وتابعه. والسَّرْد: (نَسْجُ الدِّرْعِ) وهو تداخُلُ الحَلَقِ بعْضِها في بعض، ومِن المجاز: السَّرْد: (جَوْدَةُ سياق الحَديث) فملخص السرد لغة: المتابعة والموالاة في الشيء في نسق مطرد [٤].

---

(١) ينظر: دراسة نصيّة (أدبية) في القصة القرآنية، سليمان الطراونة، ط١، ١٩٩٢، ١٦-١٩ .

(٢) ينظر: الحبك المكاني في السياق القصص القرآني ، آمنة عشاب، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بو علي بالشاف، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٧، ٢٩ .

(٣) ينظر لسان العرب لابن منظور، مادة (سرد) ٢١١/٣ .

(٤) ينظر تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي، تحقيق: علي شبري، دار الفكر للطباعة والنشر، مادة (سرد)، ١٨٧/٨ .

أما اصطلاحاً: السّرد عملية إنتاج يمثل فيها الرّاوي دور المنتج، والمروي له دور المستهلك، والخطاب دور السّلعة المنتجة وقد وضع الدّارسون العديد من المعاني الاصطلاحية للسرد (NARRATOLOGY) ومنها: الحكي، واللغة، والحدث، والخيال، والسارد، والمسرود، والمسرود له، وغير ذلك[١].

وبهذا يكون المعنى اللّغوي للسّرد في العربية يتوافق مع ما قدّمه غير العرب لهذا المفهوم، وهذا يدلُّ على أن الظاهرة السّردية ظاهرة إنسانية يعيشها الإنسان في أيّ مكان وزمان بروح إنسانية واحدة. ولكن تفاوت هذا المفهوم جاء من خلال مساحة ما يشغله **(السرد)** في عقلية الإنسان المُنظّر وليس المبدع .

وبناءً على ما سبق، يمكننا القول بأن جوهر العملية السّردية يقوم على إعادة تشكيل الواقع الحقيقي، أو الخيالي، وتوصيلها إلى المتلقي على عاتق السّارد، الذي يحدد من خلال إدراكه الحكاية، والكيفية التي يتم بها النّقل أو السّرد [٢] .

فالسّرد هو الوسيلة «لبناء العنصر الفني»، ومن ثمّ فهو مادة هذا الفن، ووسيلة البناء فيه، وعليه يكون العنصر السّردي بهذا المفهوم هو المسؤول الأول عن التحول من الحكائي إلى الجمالي، فالحكاية المجردة من جماليات السّرد لا يمكن لها أن تدخل ضمن إطار الفن، فالحكاية بكل بساطة يمكن نقلها بأي واسطة، أمّا السّرد فهو الذي يوظف اللغة جمالياً لتحويل الحكاية إلى فن لغوي خالص [٣].

إنَّ السرد القصصي لصاحب الجنتين من القصص المغلقة، والتي لم تذكر في موضع آخر سوى سورة الكهف، ولم يتكرر سياقها السردي خارج سورة الكهف وقد ورد هذا الشكل القصصي كل من قصة يوسف عليه السلام والملكة بلقيس ونحو أشباهها [٤]

- **المطلب الثاني: براعة التصوير والوصف من خلال الحوار في قصة صاحب الجنتين**

يعمل الوصف على نقل الواقع الى ذهن المتلقي من صورة مادية الى صورة أدبية، وبما أن أسلوب القرآن الكريم تصويري في قصصه التي تعبر عن أهدافه فقد وقع الاختيار على الوصف في قصة صاحب الجنتين والحوار الذي جرى بينهما، وهذا يعمل على تنوع المقاطع الوصفية وتنوع أشكالها في التعبير.

إنَّ التعبير القرآني لصاحب الجنتين «يتناول القصة بريشة التصوير المبدعة التي يتناول بها جميع المشاهد والمناظر التي يعرضها، فتستحيل القصة حادثاً يقع وشهداً يجري، لا قصة ترى، ولا حادثاً قد مضى»[٥].

---

(١) ينظر معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، دار النهار للنشر، لبنان، ١٠٥.

(٢) ينظر السرّدية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٢، ٩.

(٣) ينظر: أنماط السرّد في تراثنا العربي ناصر جابر شبانة: مجلة جامعة النجاح للأبحاث، ٢٠٠٧م، ٢١/٢ وينظر السرد في القص القرآني في قصة اهل الكهف، د أروى محمد ربيع، جامعة جرش الاردن، ١٣/١.

(٤) ينظر: الحبك المكاني في السياق القصص القرآني ، آمنة عشاب ،٥١ .

(٥) جماليات المكان في القصة القصيرة، د. أحمد طالب، ١٥٤ .

إنَّ الحوار بين الخير والشر في هذه القصة هو «من صور المحاورات التي حدثت بين الأخبار والأشرار، ما قصه القرآن الكريم علينا في قصة - صاحب الجنتين - في إطار الحوار. فقد استخدم القرآن العظيم الحوار لتصوير شخصيتين في وضعين متقابلين، وذلك بأن تقف الشخصيتان في حادثة معينة موقفين متباينين، ثم ينطلق الحوار ليعبّر عن المعاني التي تجيش التي تجيش في نفس كل منهما» [١]

وقبل البدء بالحديث عن الوصف في قصة صاحب الجنتين؛ يحسن بنا أن نعرف بالوصف بمعناه اللغوي والاصطلاحي، **فالوصف لغة:** وصف الشيء وصفاً حلاّه، وقيل الوصف المصدر، والصفة: الحلية فيكون وصفك الشيء بحليته ونعته [٢] **والصفة:** الأمارة للشيء فيقال أتصف الشيء في عين الناظر أُحتمل أن يوصف[٣] **أما الوصف من الناحية الاشتقاقية** فهو الكشف والإظهار إذ قالوا وصف الثوب الجسم إذا نم عليه ولم يستره[٤] فعرفه قدامة بن جعفر بأنه: ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهيئات [٥] ويرى ابن رشيق القيرواني بأن أحسن الوصف ما ينعت به الشيء حتى يكاد يمثله عياناً للسامع ومما سبق نستنتج ما يأتي:

١. إن غاية الوصف هو عكس الصورة الخارجية للأحوال والهيئات من صورتها المادية الى صورة أدبية.

٢. ويُعرف الوصف في النقد الحديث على انه: الخطاب الذي ينصب على كل ما هو موجود فيعطيه تميزه الخاص وتفرده داخل نسق الموجودات المشابهة له أو المختلفة عنه [٦] ؛ وبذلك يكون الوصف نسقاً من الرموز والقواعد، تستعمل لتمثيل العبارات أو تصوير الشخصيات، أي مجموع العمليات التي يقوم بها المؤلف، لتأسيس رؤيته الفنية [٧]، ويتم الوصف في النص القصصي بثلاث طرق هي: [٨]

١) النظر الى الشيء الموصوف أي اعتماده على الرؤية البصرية.

٢) الحديث عن الشيء حيث يفترض تقديم معرفة تقنية منفصلة عن الشيء الموصوف.

٣) الوصف بالعمل ويتم بالاشتغال على الشيء الموصوف، ومن الطبيعي أن يكون النوع الأول هو الأكثر تداولاً في بناء المقطع الوصفي لارتباطه بالوظيفة الإدراكية المباشرة، وقيامها على أساس الحواس التي تساعد على توسيع مجال الرؤية ومن هنا تتضح أهيمه الرؤية بوصفها من القرائن الدالة على الوصف البصري.

(١) الحوار في القرآن «قواعده أساليبه، معطياته»، فضل الله محمد حسين، ط٦، دار الملاك، بيروت، ٢٠٠١م ٣٣١ .
(٢) ينظر لسان العرب، أبو الفضل بن منظور٣٥٦/٩ .
(٣) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق:عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة ١١٥/٦.
(٤) ينظر المعجم الوسيط، احمد حسن الزيات واخرون دار حياء التراث العربي، القاهرة، ١٠٤٨/٢.
(٥) ينظر نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨، ١١٨.
(٦) ينظر وظيفة الوصف في الرواية عبداللطيف محفوظ، دار اليسر للنشر المغرب ١٩٦٩م،٦.
(٧) ينظر: كتاب ضحك كالبكاء لإدريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١، بغداد،٨٦ ١٩، ١٢٧.
(٨) ينظر: بنية الشكل الروائي (الفضاء. الزمن. الشخصية)، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت الدار البيضاء، ١٩٩٠م، ١٧٩.

- **المطلب الثالث: الخصائص والسمات الفنية للحوار القرآني في قصة صاحب الجنتين**

أولاً: خصائص الحوار القرآني

لاشك أن لكل حوار داخل القصة خصائص ومقومات يرتكز اليها ليخرج بأبهى صورة؛ والحوار القرآني يقوم على أغراض دينية بحتة وهذه الأغراض تتحقق في ظل الجمال الفني الذي يسبر أغوار النفس الإنسانية و يودع في الوجدان أعمق الآثار[١] تتسم خصائص الحوار القرآني بما يلي:

- التنوع فلا يلتزم طابعا واحدا بحيث يمل القاري من متابعه الحوار بين شخوصه [٢] .
- ترك فجوات بين مشاهد الحوار؛ لأنه يستهدف الحقائق في ذاتها ويقيم عليها البراهين والحجج كالأمور الغيبية فهو حوار واقعي صادق، كحوار الأنبياء مع أقوامهم و إخبارهم بالغيبيات فهو لا يخضع لمقاييس البشر ولمعارفهم نلمس ذلك من محاورات وردت على لسان سيدنا ابراهيم وسيدنا موسى وعيسى عليه السلام .
- أنه جاء بما هو مألوف من أساليب اللغة التي تجمع بين عمق المعنى ودقة التصوير ووضوح التعبير وسلامة التركيب مما يثير الفهم ويوقظ المدارك النفسية ويدفع بالعقل إلى النظر والاستدلال .
- وللقرآن الكريم طريقة تعتمد على تلوين الخطاب وتلوين الحوادث وتنويع الأخبار والشخوص والمعالم لتتلقاه العقول السليمة اليقظة متدبرة و تتلقاه القلوب وجلة راجية فتراه يردف الترهيب بالترغيب تسكيناً لنفوس المؤمنين ليطمئنوا إلى رضاء الله ورحمته [٣].
- أنه حوار مبني على العلم واليقين فلو قال الطرف الآخر باطلاً فإن القرآن يبين تناقضه ليبين دعوة الحق [٤].
- لو تتبعنا آيات الحوار في القرآن الكريم لوجدنا الإعجاز النظمي يظهر في أكثر من جانب من هذه الجوانب، كما نلاحظ الدقة في الحروف واختيار المفردات نفسها فقد يكون للمفردة مرادفات عدة لكنه يؤثر كلمة دون أخرى لإصابة المعنى المبني[٥].

وهكذا نلمس روعة الحوار في تلون الخطاب التي تعجز أمامها القدرة اللغوية لدى البشر[٦]، فتتجلى مظاهره في طريقة التصوير عند عرض الحوار فالتعبير القرآني يتناول الحوار بريشة التصوير المبدعة التي

(١) ينظر: روائع الاعجاز في القصص محمود السيد حسن، ٢٧.
(٢) ينظر: التصوير الفني للقران السيد قطب ١١١/١.
(٣) ينظر: القرآن العظيم محمد صادق عرجون ٧٢٢١١ - ٧٢٤.
(٤) ينظر: دور المنهاج الرباني في الدعوة الاسلامية عدنان النحوي ١١/١.
(٥) ينظر: اعجاز القرآن للباقلاني، ٧٤٢.
(٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي ٧/٦.

يتناول بها جميع المشاهد والمناظر وهذا واضح جداً في حوار أصحاب الكهف فبينما تجدهم يتشاورون في أمرهم بعد ما اهتدوا إلى الله بين قوم مشركين إذا بالمشهد ينتهي إلى دخولهم الكهف، وحين تدب فيهم الحياة ننظرهم ونسمعهم كأنهم أشخاص أمامنا يتحدثون و يتشاورون جمعت هذه الصور الرائعة بين أساليب الخبر والإنشاء من تعليل وحكمة واستفهام وتعجب فغلبت عليها قوة التصوير والإحياء وبرغم كون الحوار موجزا في مضمونه للغاية لكنه جمع إلى جانب ذلك دقة الوصف والتئام الجمل ويظل إعجاز الحوار القرآني المعين الذي لا ينضب تماماً لا ينحصر إعجازه في وجه دون آخر، فكل من له دراية سيتذوق أساليب الأداء و كل من له خبرة بالنظم والمناهج والنظريات النفسية لا يخالجه شك في أن كل ما جاء به الحوار في هذه المجالات شيء آخر ليس من مادة ما يصنعه البشر والمراء في هذا لا ينشأ إلا عن جهالة لا تميز أو غرض يلبس الحق بالباطل [1].

• لفت الانتباه والتيقظ مما يجدر الإشارة إليه هنا أن محور عنصر المفاجأة ولفت الانتباه عنصر مهم في القصص القرآني، لذا الرجل المؤمن كان يتوقع النتيجة في كل لحظة وخاصة عندما يُذكر كلمة (الصبح). إذ في الأغلب يتوقع الإنسان مع بداية كل يوم جديد خيراً، مقابل ذلك حصول الغفلة من الكافر، فيدخل الفعل الخفي المبني للمجهول ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾[2]، وهو سر من أسرار الصورة التعبيرية أحدث هذا الفعل نقلة تُدهش السامع وتلفت الانتباه بتغيير يقتضي منه التأمل في العقوبة الربانية في إتلاف الجنتين، وأهلك أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما فأصبح يقلّب كفيه ظهراً لبطن ندماً على ما أنفق قفي عمارتها من المال، وأصبحت الجنة من الأعناب المحفوفة بخل ساقطة على دعائهما المصنوعة للكروم، وتذّكر حينئذ موعظة أخيه، وتمنى لو لم يكن مشركاً فلم يصبه ما أصابه [3] .

• **ثانياً: القصة كما وردت في القران وحوار الشخصيات فيها:**

نأتي الان لتجسيد ما ذكرناه من خصائص وسمات للقصص القرآني على قصة **(صاحب الجنتين)** والتي هي محور هذه الدراسة الموجزة وكيف ان القران صور لنا المشاهد كلها بإحدى اساليب القصص المعروفة؛ وهي السرد والحوار، قال تعالى في سورة الكهف: ﴿۞ وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا ٣٢ كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا ٣٣ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ

(١) ينظر: في ظلال القرآن للسيد قطب ٤٩/١.
(٢) الكهف: ٤٢ .
(٣) ينظر: تفسير أبي السعود ٢٢٣/٥

خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾ قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

[الكَهْف من الآية ٣٥ الى الآية ٣٤].

ثلاث عشرة آية أوجزت مشهداً رائعا تضمن كل تفاصيل الأحداث وما يحيط بها، وهذه أولى واهم سمات القصة القرآنية التي فاقت جمال الاسلوب في مثيلاتها من غير القرآن الكريم.

انها قصة تصور احداث واقعية جرت بين رجلين على طرفي نقيض بينتها احداث القصة ورسمت ملامحها بدقة حتى لكأن القاريء ينظر بعينه اليهما، رجل غني انعم الله عليه فجحد النعمة وبطرها وانكر وجود الله فكانت عاقبته وخيمه بمقابله كان الرجل الصالح ذو القلب المؤمن القانع الشاكر لله تعالى على قلة ما لديه من اموال وبشرى صبره وشكره[1].

مطلع القصة كانت في بيان الغاية من ايرادها فقال تعالى: (واضرب لهم مثلا) اي انها للعبرة والوعظ لا للتسلية وحسب، وبدا بوصف مكان الحدث الذي جرى فيه الحوار لارتباطه الوثيق بمغزى القصة وجوهر قضيتها، انهما (الجنتين) وكيف كانت روعة التصوير في تجسيد معالم الجنتين على الواقع كيف انهما احتوتا على نخيل واعناب كناية عن انواع التمر التي تطرحه واجناس من العنب لم تقتصر على واحد فقط، كما ان (بينهما) للمكان اي مكان هذا الزرع بين اشجار النخل كما هو متعارف عليه ليحميه من ظروف الجو التي تفسده كما تمتع الناظر اليه.

ثم ينقل المشاهد الى لفته فنية اخرى الا وهي حال الجنتين من كمية الانتاج وجودته حتى يكون لديه صوره واضحه عن حال الترف والرفاه التي يعيشها الرجل الثري فلم تظلم من حقوقه شيء ولم يعاني خسارة فيما تنتجه ثمارها، كما ان مصدر الري فيها كان ذاتيا ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ وهي مفردات غاية في الروعة والجمال، فأجود انواع الماء العذب ما يتفجر من باطن الارض فمياهه صافية على الدوام وغالبا ماتعجب الناظر اليها وتأخذ بعينه، كانت هذه مطلع القصة او بالأحرى اجواء القصة التي يجري فيها الحدث ووصف للنعيم الذي انعمه الباري عز وجل، لتعقبها مرحلة جديدة من القصة وهي الجحود ونكران النعمة؛ وتبدأ

(١) ينظر: قبس من نور القرآن الكريم لمحمد علي الصابوني، ط ١، دار السلام ١٩٩٧م ــ١٤١٨هـ ٢٩/٧.

بأسلوب الحوار القصصي بين الشخصيات: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ انها غاية البراعة في نقل الحدث من الوصف الى الحوار الحي بين شخصيتين وكلمة (وهو يحاوره) تدلل حال الموقف فهما واقفين بإزاء بعضهما؛ لان الحوار يقتضي القرب والتواجد للطرفين [١]..

أولى مراحل رسم الحوار والشخصيات تبدأ بتجسيد صورة المستكبر في شخصية الرجل المالك (فقال لصاحبه ....) يصور لنا القصص القرآني حاله التمرد والطغيان لدى المستكبر من منطلق احساسه الوطيد بالأفضلية عن غيره والتفاخر والتمييز بينه وبين الرجل الاخر، لاحظ أن كلمات معدودة ادت اوسع المعاني المرجوة ورسمت حالة التكبر والاحساس بالتعالي وكأنك اخذت انطباعا عن هذا الغني وطباعه السيئة وسبب هذا الشعور، ثم ينتقل القران بنا لمرحلة اخرى وهي تنامي هذا الشعور بالعظمة والخلود، ونما تدريجيا داخله انه باق في هذا النعيم وانكر وجود البعث والحساب، كما صورته الآيات التي تلته في دخوله الجنة واعجابه بما اعطاه الله من ثمار وزروع ومياه فيها بمشيئته، ولو كان هناك بعث ونشور سيجد اكثر من ذلك لاعتقاده انه اهل لذلك ومستحق للخلود في النعيم [٢]، والمشهد يصور دخوله لبستانه ويقتضي وجود صاحبه معه لأنه اكمل الحوار ورد على المستكبر كلامه، انها آيات معدودة صورت هذه التعابير والاحاسيس ولو اردنا ان ننقلها للأشخاص لاحتجنا لصفحات من السرد والتوضيح؛ لكنها بلاغة وروعة القصص القرآني (احسن القصص) وبذلك انتهى المشهد الاول وبدا المشهد الثاني.

وينتقل الحوار الان لشخصية الرجل الاخر التي نستشفها من خلال حديثه مع الغني والحوار صور لنا انه شخص مؤمن يخاف الله تعالى بما ابداه من نصح ووعظ وتذكير للجاحد وانكاره عليه هذا الفعل بإثباته للأدلة على الخلق والبعث وتوحيد الخالق جل جلاله ويستمر الحوار بين الرجلين في اكمال المشهد بعدما نقل لنا صورة حسية عن شخوصه واجواءه، فاخبره انه وان قل ماله وولده لكنه راض شاكر لأنعم الله تعالى رجاء العوض منه في الاخرة على صبره وايمانه لأنه وحده الرزاق المنعم وهو المعطي المانع، ويعقب حديثه بتحذيره من عاقبه جحوده فضل الله عليه وانه بالشكر تدوم النعم وبالنكران تذهب وهذا ما حدث بالفعل فغار ماؤها ودمرت الثمار في المشهد اللاحق[٣].

---

(١) ينظر: اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي الحنبلي، تحقيق عادل احمد وعلي معوض دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٩٩٨م، ٤٩٨/١٢.

(٢) ينظر: تفسير القاسمي ٤٢/١١.

(٣) ينظر: البحر المحيط لابي حيان تحقيق عادل احمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م ١٢٢/٦، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الاندلسي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ١٩٣م، ٥١٨/٣.

تنتهي مشاهد الحوار بدمار الجنتين وخرابها لسخط الله تعالى على هذا الجاحد وبدعوة المؤمن عليه، فكأن الاحداث تسلسلت هكذا لنعلم سبب ما سيحدث له وتطمئن النفوس لعاقبته، ويتحول اسلوب القصص الى السرد مرة اخرى ليحكي على لسان حاله فيصور المشهد بأبدع تصوير؛ فالآيات الكريمة صورت تغير حال الجمال والبهاء الى خراب وبوار في لحظات، فبعد ان كانت ثمارها تزهو احيط به ودمر بالكامل، وعروش العنب خاوية من العناقيد مكبكبة على بعضها بعدما اصابها اعصار اذهب ببهاءها وغارت مياه النهر الجارية، ولم ينفعه المال والجاه بل لم يمنعه عزوته من نزول امر الله به لجحوده واستكباره على الخالق جل جلاله، ويحكي المشهد حال الندامة التي تملكته (فاصبح يقلب كفيه) يعني كناية عن ندمه واسفا لذهاب ماله وما انفق لإصلاحها وقيامها، ويختم القرآن هذه القصة بالتعقيب الرباني على حوارهما وفعل كل منهما وجزاءه، فكان قصا ليس للتسلية وحسب انما لإقامة البرهان والحجج على المنكرين وكذا اثبات حقائق وضرب للأمثال، فالتعقيب جاء ليقرر حقيقة واحدة وهي اخلاص الولاء لله تعالى بالعبادة والخضوع لا لسواه أياً كان، وختاماً فيمكن القول أن القصة جسدت صورة واقعية لما يسمى غرور الثروة والجاه وكيف انتهى مصير من يعيش بلا هدف او غاية في الحياة سوى جمع الثروة وتكوين مكانة اجتماعية وكثرة التفاف الناس حوله فيتحول بالتدريج الى مرحلة الاعتقاد بالخلود والديمومة [1]، حتى يجدوا مصيرهم المحتوم ولا ينفع حينها الندم، كل هذه المشاهد والحالات نقلتها لنا القصة بأدق تفصيل واجمل تصوير وأحسن ترتيب بأوجز عبارة، وبهذا اكون قد ختمت بحثي هذا عن روعة القصص القرآني.

(١) ينظر: الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة بيروت ط١، ١٩٩٢م، ٢٤٨/٩.

الخاتمة

ختاماً اشكر الله تعالى ان يسّر علي اتمام البحث على هذا النحو وبهذه الصورة، واسأله القبول والمنة، ولابأس ان اضع بعض النتائج التي تمخض عنها البحث:

١. التصوير الفني هو أحد وجوه الإعجاز البياني في إطار الأسلوب القرآني، فالتصوير بالكلمات المجردة يعدِل بل يفوق الريشة الملونة، فيؤثر في المتلقي وجدانيا، وهو أسلوب تعبيري لكثير من المباحث القرآنية.

٢. اهتمام القصص القرآني بجانب الحوار كونه اساس القصة وبه ينقل للقارئ احداثها ومدلولاتها، وأنه ينمي الجانب المعرفي وحب الاستطلاع والتدبر للحقائق.

٣. غالبا ما يكون ايراد القصص لضرب المثل واخذ العبرة والعظة، ولإقامة الحجج على المنكرين والجاحدين فليست الغاية هي التمتع بالقصص وحسب .

٤. اسلوب القرآن الفريد والبديع في ادارة الحوار فيبدأه بعبارة لاتشبه ختامها والتي غالبا تبدأ بالوصف وتنتهي بتقرير الحكمة واثبات حقائق ومسلمات.

٥. تتفاوت درجة تركيز التصوير القرآني على أبنية القصة القرآنية، بحسب ما يخدم الفكرة الرئيسية.فمرة تظهر الشخصية محورها، وتارة الحدث، وقد يكون المكان اهمها.

٦. تنوع اساليب القصص القرآني وصوره بين السرد والحوار والتقرير والوصف وهكذا وقد يتفرد او يجمع في القصة عدة الوان منه، وهذا من بديع نظمه واعجازه البياني.

واخيراً فمهما سطرنا وكتبنا عن كتاب الله الخالد فلا يمكن ان نوفيه جزء بسيط من ذلك، فقد اعجز الاقدمون اهل البلاغة واللغة ولم يأت احد بمثل هذا النظم والبلاغة والاعجاز، فتبارك الله رب العالمين الذي قال في كتابه العزيز: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ [يُوسُف الآية ٣] ، فالاكتفاء بقصصه يغني عما سواه من قصص حدثت وان كانت جميلة لا تضاهي روعة وجمالية القصص القرآني البديع، واخر دعوانا ان الحمد لله ربّ العالمين وصلى الله وسلم على سيدنا محمد سيد المرسلين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.
١) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط٤، ١٩٧٨م .
٢) أثر استخدام السرد التحليلي للقصة القرآنية على تنمية التفكير الاستنتاجي، أمالي صالح (رسالة ماجستير) جامعة غزة، كلية التربية، ٢٠١٠م ،
٣) أدب القصة في القرآن الكريم، دراسة تحليلية كاشفة عن عالم الإعجاز د.عبد الجواد محمد المحص، الدار المصرية - الإسكندرية، سلسلة الدراسات القرآنية (١) ، ٢٠٠٠م .
٤) أسس الدعوة وآداب الدعاة، محمد السيد الوكيل، دار الوفاء، المنصورة، ط٢، ١٩٨٦م.
٥) الأسلوبية والأسلوب، عبدالسلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس.
٦) اعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب للباقلاني، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر .
٧) إعجاز القرآن، محمد بن الطيب الباقلاني دار المعارف. القاهرة، ١٩٧١ م.
٨) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ناصر مكارم الشيرازي، مؤسسة البعثة بيروت ط١، ١٩٩٢م.
٩) أنماط السّرد في تراثنا العربي ناصر جابر شبانة: مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد (٢١٢) ، ٢٠٠٧م.
١٠) البحر المحيط لابي حيان تحقيق عادل احمد وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت ط ١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
١١) البداية والنهاية، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء، دار النشر: مكتبة المعارف – بيروت.
١٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي، محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار النشر: دار المعرفة - بيروت – ١٣٩١ .
١٣) بنية الشكل الروائي (الفضاء. الزمن. الشخصية) ، حسن بحراوي، المركز الثقافي العربي، ط١، بيروت الدار البيضاء، ١٩٩٠م.
١٤) بيان إعجاز القرآن، حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي، القاهرة ١٩٣٢ م.
١٥) البيان القصصي في القرآن الكريم، د. إبراهيم عوضين، دار الأصالة – الرياض، ط١٩٩٠،٢م .
١٦) البيان في ضوء أساليب القرآن، عبدالفتاح لاشين، ط١، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤ .
١٧) تاج العروس، محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار النشر:

دار الهداية.

١٨) التصوير الفني للقران السيد قطب، ط٨، القاهرة، دار المعارف ١٩٨٣م .

١٩) تفسير أبي السعود العمادي أو أرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

٢٠) تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل، محمد جمال الدين القاسمي، ط١، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركائه، ١٩٥٧م .

٢١) جماليات الترابط في قصص سورة الكهف، د. علي بن محمد الحمود كلية الإمام بن سعود أُسلامية .

٢٢) جماليات المضمون والشكل في الإعجاز القرآني، د.محمد الصاوي الجويني، منشورات منشأة المعارف، الإسكندرية، مطبعة أطلس، القاهرة، ١٩٨٣ م.

٢٣) جماليات المكان في القصة القصيرة، د. أحمد طالب، دار الغرب، ب ط، ب ت

٢٤) الحبك المكاني في السياق القصص القرآني ، آمنة عشاب، رسالة ماجستير، جامعة حسيبة بن بو علي بالشاف، كلية الاداب، قسم اللغة العربية، ٢٠٠٧م .

٢٥) الحوار في القرآن «قواعده أساليبه، معطياته»، فضل الله محمد حسين، ط٦، دار الملاك، بيروت، ٢٠٠١م.

٢٦) دراسة نصيّة (أدبية) في القصة القرآنية، سليمان الطراونة، ط١، ١٩٩٢م .

٢٧) دلائل الأعجاز ،عبدا لقاهر الجرجاني (ت ٤٨٢ هـ) ، وتصحيح وتعليق محمد رشيد رضا، دار المعرفة، القاهرة ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م.

٢٨) دور المنهاج الرباني في الدعوة الاسلامية، عدنان النحوي، مكتبة الاعتصام القاهرة ،١٣٩٩ه.

٢٩) روائع الاعجاز في القصص محمود السيد حسن، المكتب الجامعي الحديث – الاسكندرية.

٣٠) السرد في القص القرآني في قصة اهل الكهف، د أروى محمد ربيع، جامعة جرش الاردن.

٣١) السّردية العربية، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ١٩٩٢ .

٣٢) سيكولوجية القصة في القرآن، نقرة التهامي، الشركة التونسية للتوزيع .

٣٣) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ) دار العلم للملايين- بيروت ط٤ - يناير .

٣٤) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، جابر عصفور، القاهرة، المركز الثقافي العربي.

٣٥) الصورة في الشعر العربي، علي البطل، ط٣، لبنان، دار الأندلس، ١٩٨٣م .

٣٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري، دار

النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، ١٩٩٦ م.

٣٧) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، تحقيق: هشام البخاري وخضر عكاري، المكتبة العصرية، بيروت، ط١ ١٩٩٧م.

٣٨) الفن القصصي في القرآن، ،محمد أحمد خلف الله، مكتبة الانجلو المصرية ،ط ٣، ١٩٦٥م.

٣٩) فنون الحوار والإقناع، محمد راشد، دار ابن حزم، ط١، ١٩٩٩م.

٤٠) في التذوق الجمالي لسورة الكف (دراسة نقدية إبداعية) ، د. محمد علي أبو حمزة دار عمّار – الأردن، ط١، ٢٠٠١م .

٤١) في ظلال القرآن للسيد قطب، ط١١، دار الشروق، بيروت، ١٤٠٥ه.

٤٢) قبس من نور القرآن الكريم لمحمد علي الصابوني، ط ١ دار السلام ١٩٩٧م ــ١٤١٨هـ .

٤٣) القرآن العظيم- هدايته واعجازه في أقوال المفسرين محمد صادق عرجون، ط٢ دار القلم، دمشق الدار الشامية بيروت ١٤١٠ه.

٤٤) القصة القرآنية الخصائص والأهداف، سليمان علي حسن محمد، ط١، القاهرة مطبعة الحسن الإسلامية، ١٩٩٥م .

٤٥) القصة في القرآن (مقاصد الدين وقيم الفن) ، محمد قطب، دار قباء – القاهرة ٢٠٠٢م .

٤٦) القصص القرآني، د. عبد الباسط بلبول، ، مكتبة أصول الدين بالقاهرة.

٤٧) القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة، عبد الكريم الخطيب، مطبعة السنة المحمدية، ط ١٣٨٤ ،١ ه/ ١٩٦٨م.

٤٨) الكامل في التاريخ ،ضياء الدين بن الأثير) ت ٦٣٠ هـ) دار ومكتبة الهلال – لبنان، بيروت ،طبعة ٢٠٠٨ م.

٤٩) كتاب ضحك كالبكاء لإدريس الناقوري، دار الشؤون الثقافية العامة، ط ١ بغداد ٨٦ ١٩ .

٥٠) اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي الحنبلي، تحقيق عادل احمد وعلي معوض دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ١٩٩٨م.

٥١) لسان العرب، أبو الفضل بن منظور، دار صادر ودار بيروت: للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥م.

٥٢) مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط٣ ٢٠٠٠م .

٥٣) المجاز المرسل والكناية الأبعاد المعرفية والجمالية، يوسف أبو العدوس، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٩٨ .

٥٤) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية الاندلسي تحقيق عبدالسلام عبدالشافي دار

الكتب العلمية بيروت ط١، ١٩٩٣م.

٥٥) مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي، تحقيق: محمود خاطر، دار النشر: مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥، الطبعة: طبعة جديدة.

٥٦) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، دار النشر: المكتبة العلمية – بيروت.

٥٧) معالم في منهج الدعوة، صالح بن عبدالله، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط١ ١٩٩٩م.

٥٨) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، د.فتحي أحمد عامر منشأة المعارف الإسكندرية، ب ط، ب ت.

٥٩) المعاني الثانية في الأسلوب القرآني، فتحي أحمد ، القاهرة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٩٧٥م .

٦٠) المعجزة الكبرى القرآن، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٧١م .

٦١) المعجم الوسيط، احمد حسن الزيات واخرون دار حياء التراث العربي، القاهرة.

٦٢) معجم مصطلحات نقد الرواية، لطيف زيتوني، دار النهار للنشر، لبنان.

٦٣) معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق:عبدالسلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، القاهرة.

٦٤) موسوعة الأمثال القرآنية، محمد عبدالوهاب عبداللطيف، مكتبة الآداب – القاهرة- ١٩٩٤م .

٦٥) نقد الشعر لقدامة بن جعفر تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٤٨م.

٦٦) وظيفة الوصف في الرواية عبداللطيف محفوظ، دار اليسر للنشر المغرب ١٩٦٩م.